
هلم عن النار
إعداد
خليل بن إبراهيم أمين
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نـــبي بعـــده، وبعد..

فلو صاحَ بك أحد الوالدين «هلمَّ عن النار، هلمَّ عن النـــار» لتملكك الرعب، وأخذ بك الهلع، ولانتفضت من فورك لتفـــر أو تتقي تلك النار، لأنك ما شككت في نُصح والديك لك، وخوفهم عليك، ولأنك تعلم جيدًا خطورة المحذر منه وهي النار، فما بالـــك وصاحب هذه النصيحة أشفق وأحرص عليك من والـــديك، بـــل أرأف بك من جميع أهلك وعشيرتك، بل أنصح لك مـــن أهـــل الأرض جميعًا، وَصَفَ ذلك ربك بقوله سبحانه وتعـــالى: ﴿**لَقَـــدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِـــتُّمْ حَـــرِيصٌ عَلَـــيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّـــا هُـــوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

فكيف كانت تلك الصيحة؟

وما صفة هذه النار التي حذرنا منها النبي ﷺ؟ وكيف يكـــون حال أهلها؟ وما هو طعامهم وشرابهم ولباسهم؟ وماذا كان موقفنا من هذه الصيحة؟

روى مسلم رحمه الله في "صحيحه" من حـــديث أبي هريـــرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مثلي كمثل رجل اســـتوقد**

نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب الــتي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيهــا، قــال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها» [صحيح مسلم (٢٢٨٤/١٨) باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم].

وفي رواية جابر لمسلم أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثلــي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفراش يقعــن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي**» [صحيح مسلم (٢٢٨٥/١٩)].

وفي "المعجم الأوسط" للطبراني: «**وإني آخذ بحجزكم هلمــوا عن النار، هلموا عن النار، فتغلبوني فتقتحمون فيهــا**» [المعجــم الأوسط (٣٢٨٧)].

وفي "مصنف ابن أبي شيبة": «**إني ممسك بحجزكم هلموا عن النار، وتغلبوني تقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب**» [مصــنف ابن أبي شيبة (٤٠)].

وانظر إلي غاية الشفقة والحرص منه ﷺ في قوله: «**وأنا آخــذ بحجزكم عن النار**»، «**وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي**»، «**وأنا ممسك بحجزكم هلموا عن النار**» هل تجد أبلغ

من هذا الحرص الذي بلغ منتهاه منه ﷺ، فالمحذر منه نـــار تلظـــي حرها شديد وقعرها بعيد.

فـــيا أيها الغافل عن نفسه، المغرور بما هو فيه من شـــواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكير فيما أنـــت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردك، فإنك أخبرت بأن النـــار مورد للجميع، إذ قيل: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]**، فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد، فعساك تستعد للنجاة منه.

وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامـــة مـــا قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائهـــا وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بـــالمجرمين ظلمـــات ذات شـــعب، وأطلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرًا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثـــت الأمم على الركب، حتى أشفق البرءاء من سوء المنقلب، وخـــرج النادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل، فيبادرونه بمقـــامع مـــن حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد،

وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْـــتَ الْعَزِيـــزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

فأسكنوا دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها الســـعير، شـــرابهم فيهـــا الحمـــيم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك.

قد شدت أقدامهم إلي النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها ،ويصيحون في نواصيها وأطرافها، يـــا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد نضجت منا الجلـــود، يـــا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان، ولا خروج لكم من دار الهوان، فاخسؤوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتُم منها لكنتم إلي ما نُهيتُم عنه تعودون.

فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف، بل يكبـــون علـــى وجـــوههم مغلولين، النار من فوقهم، والنار من تحتهم، والنار عـــن أيمـــانهم، والنار عن شمائلهم، فهم غرقي في النار، طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران، وســـرابيل القطران، وضرب المقامع، وثقل السلاسل، فهـــم يتجلجلـــون في مضايقها، ويتحطمون في دركاتها، ويضربون بين غواشيها، تغلـــي

بهم النار كغلي القدور، ويهتفون بالويل والعويل، ومهمـــا دعـــوا بالثبور صُب من فوق رؤوسهم الحميم، يُصْهَر به مـــا في بطـــونهم والجلود، ولهم مَقامع من حديد، تهشم بها جباههم فينفجر الصديد من أفواههم، وتتقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخـــدود أحداقهم، ويسقط من الوجنات لحومها، وهم مع ذلـــك يتمنـــون الموت فلا يموتون» **[الإحياء للغزالي]**. نسأل الله العفو والعافية.

فما هي هذه النار التي أشفق علينا منها النبي ﷺ؟ وما حـــال أهلها كما جاء في كتاب الله تعالي وسُنة نبينا محمد ﷺ، أعاذنا الله منها بفضله ومنه وكرمه؟

مقياسها بنار الدنيا[(١)]:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حـــر جهـــنم**» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال: «**فإنهـــا فضـــلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلها مثل حرها**» **[متفق عليه]**.

عمقها وشدة حرها: عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قـــال: «**إن الصخرة العظيمة لتُلقي من شفير جهنم فتهوي فيها ســـبعين**

(١) نقلاً عن "البحر الرائق" للشيخ أحمد فريد – حفظه الله.

عامًا ما تفضي إلي قرارهـــا» [مســـند أحمـــد (١٧٤/٤)، والترمـــذي (١٠/٤٥، ٤٦) وصححه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا عنـــد رســـول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال النبي ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ ســـبعين خريفًـــا فالآن حين انتهي إلي قعرها**»**[صحيح مسلم (١٧٩/١٧)]**. والوجبـــة هي صوت سقوط الشيء من مكان عال.

أبواب جهنم:

ولجهنم سبعة أبواب، قال الله عز وجل: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾ **[الحجـــر: ٤٣، ٤٤]**. وقيل: المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق.

وقود جهنم:

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالي: ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ **[البقرة: ٢٤]** قال: هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين؟ وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العزة قدميه فيزوي بعضها إلي بعض، وتقول قط قط وعزتك**» **[متفـــق عليه]**.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِـــي بِشَـــرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] قال: أما إني لست أقـــول كالشـــجرة ولكن كالحصون والمدائن.

طعام أهلها:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَـــا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦، ٧].

الضريع نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخباثته.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّـــةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلق لا يـــدخل ولا يخرج.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآَكِلُونَ مِـــنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الـــدِّينِ﴾ [الواقعـــة: ٥١، ٥٦].

وقد وصف الله عز وجل شجرة الزقوم فقال: ﴿إِنَّهَـــا شَـــجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّـــيَاطِينِ * فَـــإِنَّهُمْ لَآَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَـــوْبًا مِـــنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَـــإِلَى الْجَحِـــيمِ﴾ [الصـــافات: ٦٤، ٦٨]

والشوب هو الخلط والمزج، أي يخلط الزقوم المتنــاهي في القــذارة والمرارة، والحميم المتناهي في اللهب والحرارة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ هذه الآيــة: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْــلِمُونَ**﴾ **[آل عمــران: ١٠٢]** فقال رسول الله ﷺ: «**لو أن قطرة من الزقوم قطــرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكـــون طعامه**» **[الترمذي (٥٤/١٠) وقال: حسن صحيح]**.

وقال تعالى: ﴿**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّــا مِـــنْ غِسْلِينٍ**﴾ **[الحاقة]**.

قال ابن عباس: الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل مـــن لحومهم.

والتوفيق بين ما ههنا وبين قوله: ﴿**إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ**﴾ وقوله: ﴿**مِنْ زَقُّومٍ**﴾ وقوله: ﴿**مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ**﴾ **[البقــرة: ١٧٤]** أنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو أن العذاب أنواع والمعـــذبين طبقات، فمنهم أكلة الضريع، ومنهم أكلة الزقوم، ومنـــهم أكلـــة النار، لكل منهم جزء مقسوم.

شراب أهلها:

قال الله تعالى: ﴿**وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَــا يَكَـــادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ**

غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]. أي يستقي من ماء صديد شديد النتانة والكثافة ،فيتكرهه ،ولا يكاد يبتلعه من شدة نتانته وكثافته.

قال تعالى: ﴿**وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾ **[محمـــد: ١٥]** والحميم هو الماء الحار المغلي بنار جهنم يذاب بهذا الحميم مـــا في بطونهم وتسيل به أمعاؤهم وتتناثر جلودهم كما قال تعالي: ﴿**يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [الحـــج: ٢٠، ٢٢].

وقال تعالي: ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: ٢٩].

ملابس أهل النار:

قال الله عز وجل: ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾ [إبـــراهيم: ٤٩، ٥٠] فقوله: ﴿**سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِـــرَانٍ**﴾ أي قمصانهم من قطران تطلى بـــه جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه من نتن رائحته ووحشة لونه، والقطران قيل فيه ما يطلى به الجمل الأجرب. وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليهـــا**

سربال من قطران ودرع من جرب» **[صــحيح مســـلم (٦/٢٣ – ٢٣٦)].**

وقال الله تعالي: ﴿**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ**﴾ **[الحج: ١٩].**

فقوله: ﴿**قُطِّعَتْ**﴾ أي قدرت لهم على قدر جثثهم لأن الثيـــاب تقطع على مقدار بدن من يلبسها، وقيل إنها من نحاس قد أذيـــب فصار كالنار، والحق إجراء النظم القرآني على ظاهره.

وعن سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**منهم من تأخذه النار إلي ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلي حجزتـــه، ومنهم من تأخذه النار إلي عنقه، ومنهم من تأخـــذه النـــار إلي ترقوته»** **[صحيح مسلم ١٧/ ١٨٠)].**

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أهـــون أهل النار عذابًا أبو طالب، ينتعل بنعلين يغلي منـــهما دماغـــه»** **[صحيح مسلم (٣/٨٥)].**

أسرة أهل النار:

قال تعالى: ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ **[الأعراف: ٤١].**

أي فرش من النار ويلتحفون بألحفة من النار عياذًا بـــالله مـــن حالهم.

وقال تعالي: **﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾** **[الزمر: ١٦]** أي أطباق وفراش ومهاد وسرادقات، وإطلاق الظلـــل عليها تهكمًا، وإلا فهي محرقة، والظلة تقي من النار كما قال تعالي: **﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَـــبِ﴾** **[المرسلات: ٣٠، ٣١]**.

عظم أهل النار وبشاعة منظرهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**» **[متفق عليـــه]**. والمنكب هو الكتف. وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضرس الكافر– أي ناب الكافر – مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث**» **[صحيح مسلم (١٨٦/١٧)]**.

قال النووي رحمة الله: هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه وكل هذا مقدور لله تعالي يجب الإيمان به لإخبار الصادق به ﷺ.

قال الحافظ المنذري: وقد ورد أن من هذه الأمة من يعظـــم في النار كما يعظم فيها الكفار، فروى ابن ماجة والحاكم وغيرهم من حديث عبد الله بن قيس قال: كنت عند أبي يريدة ذات ليلة فدخل علينا الحارث بن أقيش رضي الله عنه، فحدثنا الحارث ليلتئـــذ أن

رسول الله ﷺ قال: «**إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثـــر من مضر، وإن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها**» [ابن ماجة (٤٣٢٣) وصححه الألباني].

بعض ألوان عذاب أهل النار:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يـــؤتى بـــأنعم الناس يوم القيامة من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقـــول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهـــل الجنـــة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**» [صحيح مسلم (١٤٩/١٧)]. وعن أبي هريـــرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من صـــاحب كنـــز لا يؤدي زكاته إلا مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه فيقول: أنا مالك أنا كنزك**» [البخاري (٦٨٣)]، واللهزمة عظم ناتئ في اللحى، وفي رواية: «**يفر منه ويتبعه، ويتقـــي منـــه فيلقم يده ثم يطوقه**» وقرأ هذه الآية: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُـــونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَـــا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن أهون أهل النار عذابًا رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منـــهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم**» **[متفق عليه]**.

وعن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُــودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾، [النســاء: ٥٦]، قــال: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيــل لهــم: "عودوا" فيعودون كما كانوا.

عذاب أهل النار المعنوي:

من عذاب أهل النار المعنوي أن الملائكة تبكتهم قبل أن يدخلوا منازلهم في النار كما قال تعالى: ﴿**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَــا فَــوْجٌ سَــأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَــا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾ **[الملك: ٨، ٩]**.

ومن عذابهم المعنوي أنهم يلعن بعضهم بعضًا، ويسب بعضــهم بعضًا قال تعالى: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَــتْ أُخْتَهَــا**﴾ **[الأعــراف: ٣٨]**ويتبرأ الكبراء من المستضعفين ويقول المستضعفون: ﴿**لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾ **[البقرة: ١٥٧]**.

ومن عذابهم المعنوي أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منـــهم ويستهزؤون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضا والرضوان ونجــوا

من غضب الملك الديان كما قال تعالي: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [ص: ٦٢، ٦٣].

ومن عذابهم المعنوي كذلك أنهم يمنعون من الكلام قال محمـــد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعـــة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غـافر: ١١] فيقول الله تعالى مجيبًا لهم: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّـهُ وَحْـدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غـافر: ١٢] ثم يقول: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[السجدة: ١٢] فيجيبهم الله تعالي: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَـا لَكُـمْ مِـنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـالِحًا غَيْـرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فيجيبهم الله تعالي: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فـاطر: ٣٧] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنـون: ١٠٦، ١٠٧] فيجيبهم الله تعالي: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]فلا يتكلمون بعدها أبدًا، وذلك غاية شدة العذاب.

قال مالك بن أنس: قال زيد بن أسلم في قوله تعالي: ﴿سَـوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]قال: صبروا

مائة سنة، ثم جزعوا مائة سنة، ثم صبروا مائة سنة، ثم قالوا: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**﴾ وعن ابن عمر رضـــي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت يوم القيامة كأنــه كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة خلــود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت**» [**البخـاري (١١/٤١٥)، ومسلم (١٧/ ١٨٦)**].

تلكم كانت أوصاف النار، وهذا هو حال أهلها، صح عنه ﷺ من حديث النعمان بن بشير أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب فقال: «**أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار**» فمــازال يقولها حتى لو كان في مقامي هذا لسمعه أهل السوق حتى سقطت خميصة كانت عليه عند رجليه. [**مستدرك الحــاكم (١٠٥٨) وأحمــد والدارمي**]. ولقد توعد الله — عز وجل من عصاه وتعــد حــدوده بدخول هذه النار فقال: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُــدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [النساء: ١٤].

فهل استجاب لصيحة النبي ﷺ أهل الشرك من عبــاد القبــور وغيرهم، وقد كتب الله على نفسه: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَــرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ**﴾ [المائدة: ٧٢].

هل استجاب لصيحة النبي ﷺ من قطع أقوى صلة بينه وبــين ربه — عز وجل — بترك الصلاة! وقد توعد — ســبحانه — مــن

يؤخرها عن وقتها بقوله: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤، ٥].

قال أهل العلم: "ويل" هو واد في جهنم لو سيرت فيه جبـــال الدنيا لذاب من شدة حره، وهو مسكن مـــن يتـــهاون بالصـــلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط.

هل استجاب لصيحة النبي ﷺ من شحت نفسه وبخلت عـــن إخراج زكاة المال المفروضة وقد قال تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَـــبَنَّ الَّـــذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُـــوَ شَـــرٌّ لَهُـــمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَـــةِ**﴾ [آل عمـــران: ١٨٠] وقـــال سبحانه: ﴿**وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ [فصـــلت: ٦، ٧] فسماهم مشركين وقال: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِـــي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَـــا كَنَـــزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥] وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليهـــا في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنباه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حـــتى يقضـــي الله بـــين الناس.....**» [مســـلم (٩٨٧)] قال ابن مسعود: «لا يوضع دينـــار

على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته».

هل استجاب لصيحة النبي ﷺ الوالغون في الأعراض المحرمة أهل الزنا، وقد قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ**﴾ [الفرقان: ٦٨، ٧٠].

وفي "صحيح البخاري" من حديث سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ رأى عذاب أهل الزنا من أمته فقال: «**فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات ، قال :فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا – أي صاحوا من شدة حره – فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني يعني من الرجال والنساء فهذا عذابهم إلي يوم القيامة**» [البخاري (٧٠٤٧)].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**» [مسلم (١٠٧)].

هل استجاب لصيحة النبي ﷺ من تجرأ على الخمـــر ليشـــربها و«**إن على الله عهدًا لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينـــة الخبال**، قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: **عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار**» **[صحيح مسلم (٢٠٠٢)]**.

هل استجابت نساء زماننا هذا لصيحته ﷺ وقد قال: «**اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النســـاء**» **[البخـــاري (٣٢٤١)]** هـــل استجبن لصيحته ﷺ «**نساء كاسيات عاريات مـــائلات ممـــيلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولايجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» **[صحيح مسلم (٢١٢٨)]** بل أخبر ﷺ أنهم أحد صنفي أهل النار ممن لم يرهم ﷺ في حياتـــه وأنهم سيأتون بعده وسيكونون من أشد الفتن كما قال ﷺ: «**مـــا تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النســـاء**» **[صـــحيح البخاري (٥٠٩٦)]**.

هل استجاب لصيحته ﷺ الذين يحتالون في أكل أموال العبـــاد والرسول ﷺ يقول: «**إن أناسًا يتخوضون في مال الله بغير حق لهم النار يوم القيامة**» **[البخاري]**.

هل استجاب أَكَلَة الربا ومرتكبو جريمة اللواط والمســـبل إزاره والمنان والمنفق سلعته بالأيمان الكاذبة.وهل، وهل... حتى تعلم لماذا صارت أمة الإسلام وهي «خير أمة أخرجت للناس» في ذيل الأمم!

لقد كان سلفنا رحمهم الله يعلمون جيدًا ما هي الجنة وما هي النار فهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله يبكي ليلة فيطيل البكاء، فيسأل عن سبب بكائه، فيقول: ذكرت مصير القوم بين يدي الله – عــز وجل-: ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾ [الشورى: **٧**] ثم يصرخ ويسقط مغشيًا عليه.

والحسن رضي الله عنه يقول: «إن لله تعالى عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أيامًا قصارًا تعقب راحة طويلة، أما الليل فصافة أقدامهم تسيل دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم – عز وجل – ربنا ربنا، وأما النهار فعلماء حلماء أتقياء ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى أو قد خولطوا، وما بهم من مرض ولكن خالطهم أمر عظيم».

فانظر – رحمك الله – إلى عاقبة الذنب فإن اللذة تفني، ويبقى العيب، واحذر المعاصي فبئس المطلب، واعلم أنه سوف يأتي أقوام يوم القيامة يردون على رسول الله ﷺ فيقول أحدهم: «يا رسول الله أغثني (فيقول له ﷺ): «**لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك**» **[البخاري (٢٩٠٨)]**.

ونشهد أنه بلغ ونصح ﷺ، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**أيها الناس إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم مـــن النار ويبعدكم عن الجنة إلا وقد نهيتكم عنه**» [مصنف ابن أبي شيبة (٣١)، وشعب الإيمان (١٠٣٧٦)].

وفي "الصحيحين" أنه قال ﷺ: «**إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنـــا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منـــهم فأصـــبحوا مكـــانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم،فذلك مثل مـــن أطـــاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق**» [متفق عليه]. وعند البخاري أنه قال: «**ليلقين الله أحـــدكم يـــوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان، يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلي، فيقول: ألم أعطك مـــالاً وولـــدًا وأفضل عليك؟ فيقول: بلي، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم**» قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمـــة طيبة**» [البخاري (٣٤٠٠)]. وفي الحديث القدسي:«**يا عبادي إنمـــا هي أعمالكم أحصيها لكم ،ثم أوفيكم إياها،فمن وجـــد خـــيراً**

فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» [صـحيح مسلم]

فاللهم أجرنا من النار ومن عذاب النار ومن فتنة القبر ومـــن عذاب القبر، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وصلى الله على محمد وعلى آلة وصحبه وسلم.

أبو المنذر

خليل بن إبراهيم أمين